آيَةُ (اهْدِنَا الصِّرَاطَ أَلْمُسْتَقِيمَ)
فِي هُدَى تُرَاثِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهُمُ السَّلَامُ تَفْسِيرًا وَتَأْوِيْلًا

The Verse “Guide Us to the Straight Path” in the Heritage of Ahl al-Bayt (A.S.): An Exegetical and Interpretive Study

أ د. فاطمة كريم رسن

Prof. Dr. Fatima Karim Rasn

العراق / جامعة بغداد/ كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية/ قسم اللّغة العربية.

Iraq / University of Baghdad / Ibn Rushd College of Education for Humanities / Department of Arabic Language.

م م. يسرى كريم رسن

Assit.Lect. Yasra Karim Rasn

إيران / جامعة طهران / كلية المعارف والفكر الإسلامي / قسم علوم القرآن والحديث.

Iran / University of Tehran / Faculty of Islamic Knowledge and Thought / Department of Quranic and Hadith Sciences.

dr.fatima.kareem@gmail.com

usraaakareem@gmail.com

خضع البحث لبرنامج الاستلال العلمي

Turnitin - passed research

مُلَخَّصُ البحث:

كشفت سورة الفاتحة عن أسرار كبيرة تناولتها الأحاديث الواردة عن أهل بيت النّبوة ﷺ، ومن دونها لا تتمّ صلاة؛ وتأتي أهمّيّة هذه السّورة المباركة بجلاء من سعة محتواها الدّلاليّ والمقاصديّ، حيث إنّها استوعبت بإجمالٍ كلّ ملامح القرآن الكريم، وتضمّنت مقاصد هذه السّورة المباركة في الرّكن العقديّ المهمّ مراحل الإيمان الثّلاثة؛ وهي : الاعتقاد القلبيّ ، الاعتقاد اللّفظيّ، الاعتقاد العمليّ .

وقد تناولت هذه الدّراسة آية من آياتها الكريمات الّتي كان لها تفسير وتأويل في بطون الكتب الحديثيّة، ننقلَ ما تيسّر منها لنستكشفَ منها مستويي : التّفسير والتّأويل ، أَلَا وهي آية «اهدنا الصّراط المستقيم».

وأهم ما بينته الدراسة أنّ التّأويل الّذي يمثّل التّفسير الباطن يعدّ مكمّلًا للتّفسير الظّاهر لدلالات الآيات المباركات، ولا تعارض بينهما إلّا إذا خالف التّأويل ثوابت الشّريعة وخرج عن الأطر المعلومة عقائديًّا .

الكلمات الافتتاحيّة: آيَةُ (اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) ، التفسير ، التأويل ، تراث أهل البيت (ﷺ).

Abstract:

Surat Al-Fatiha has revealed profound secrets, as evidenced by the narrations from Ahl al-Bayt(a.s.). Without it, prayer is incomplete. The significance of this blessed surah is clearly demonstrated by the breadth of its semantic and purposeful content, as it encapsulates, in summary, all the features of the Glorious Qur'an. The objectives of this blessed surah include the three stages of the essential creedal pillar of faith: belief of the heart, verbal affirmation, and practical application.

This study focuses on one of its noble verses, which has been the subject of extensive commentary and esoteric interpretation found in books of hadith. We have conveyed what was available to us to explore exegetical and interpretational levels of understanding, specifically for the verse "Ihdina al-sirat al-mustaqim" (Guide us to the straight path).

The most important finding of this study is that interpretation, which represents the inner, esoteric interpretation, complements the outer, exoteric interpretation of the blessed verses. There is no contradiction between them unless the in-

terpretation violates the fixed principles of Islamic law or deviates from established doctrinal frameworks.

keywords: : The Verse “Guide Us to the Straight Path”, Exegesis , Interpretation,Heritage of Ahl al-Bayt (a.s.).

المقدّمة:

ورد في الأثر عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) قولة مهمّة في أهمّيّة مقاصد سورة الفاتحة وانفتاح دلالاتها؛ جاء فيها: (لو شئت لأوقرتُ سبعين بعيرًا في تفسير فاتحة الكتاب، ولمّا وجد المفسِّرون قوله لا يأخذون إلّا به)[1]، فلسورة الفاتحة أسرارٌ كبيرةٌ كشفت عنها الأحاديث الواردة عن أهل بيت النّبوة (عليهم السلام)، حتّى قال النّبيّ الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) (إنّ الله مَنَّ عَلَيَّ بفاتحة الكتاب من كنز الجنّة ...) [2]؛ وفي الصّدد نفسه جاء حديثٌ آخرُ يصف السّورة المباركة بالكنز؛ ورد فيه (قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): مَنّ عَلَيَّ ربّي وقال لي: يا محمّد، أرسلتك إلى كلِّ أحمرَ وأسودَ، ونصرتك بالرّعب، وأحللت لك الغنيمة، وأعطيتك لك ولأمّتك كنزًا من كنوز عرشي: فاتحة الكتاب، وخاتمة سورة البقرة) [3]؛ ولعظمتها سُمِّيت بـ «أمّ الكتاب»، ومن دونها لا تتمّ صلاة؛ وقد امتدحها الباري في كتابه المجيد بقوله تعالى على وَفق ما روي عن الإمام الصّادق (عليه السلام): حين سُئِلَ (عليه السلام) عن ﴿وَلَقَدْ آتَيْناكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثاني وَالْقُرْآنَ الْعَظيمَ﴾، قال (عليه السلام): هي سورة الحمد، وهي سبع آيات؛ منها ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ﴾، وإنّما سمّيت؛ لأنّها يثنّى بها في الرّكعتين[4].

وتأتي أهمّيّة هذه السّورة المباركة بجلاء من سعة محتواها الدّلاليّ والمقاصديّ؛ فالمتتبّع لمسارات صياغتها وأبعاد مراميها يجدها بوضوح استوعبت بإجمالٍ كلّ ملامح القرآن الكريم؛ فمن جانب أنّها اختصّت بعقيدة التّوحيد وصفات الذّات

المقدّسة؛ ومن جانبٍ آخرَ تناولت عقيدة المعاد ويوم الحساب، وفي جانبٍ آخرَ منها خصّت موضوع الهداية والضّلال بوصفه سمة مائزة بين المؤمن وسواه من الخلق، وفيها كذلك إشارات إلى الحاكميّة المطلقة لله سبحانه وتعالى؛ فضلًا عن إشاراتها الواضحة إلى مقام الرّبوبيّة، إضافة إلى الإشارات الجليّة إلى ألطافه غير المتناهية العامّة منها والخاصّة؛ أعني: الرّحمانيّة والرّحيميّة، علاوةً على الإشارات البيّنة إلى مسألة العبادة والعبوديّة واختصاصها بذات الله دون غير . فهي تتضمّن ببيان واضح ما يعُرف في كتب العقائد بـمبحث «توحيد الذّات»، وكذلك مبحث «توحيد الصّفات»، ومبحث «توحيد الأفعال»، ومبحث «توحيد العبادة»؛ وهي من المباحث العقديّة الحسّاسة والمهمّة في الفكر والسّلوك الإيمانيّ، وإذا أردنا إعادة التّعبير بصيغة مختلفة؛ فنقول: تضمّنت مقاصد هذه السّورة المباركة في هذا الرّكن العقديّ المهمّ مراحل الإِيمان الثّلاثة؛ وهي:

- **الاعتقاد القلبيّ .**
- **الاعتقاد اللّفظيّ .**
- **الاعتقاد العمليّ .**

ومن أجل ما مرّ كلّه ورد في الأثر أنّها لُقّبت بـ «أمّ الكتاب»، ومن المتسالم عليه في لغة العرب وتعابيرهم أنّ مفردة «الأُمّ» تعني أصل الشّيء وجذره وأساسه.

وقد بيّن هذا المقصد في التّوجيه من اللّقب الصّحابيّ ابنُ عبّاس بقوله في حديث ورد عنه: (إنّ لكلّ شيء أساسًا ... وأساس القرآن الفاتحة)، وتثبيتًا لكلّ التّصوّرات الّتي نقلناها عن أهمّيّة هذه السّورة من حيث دلالاتُها ومقاصدُها ننقل قول الرّسول الأكرم محمّدٍ ﷺ في ما رُوِيَ عنه: (أَيُّمَا مُسْلِمٍ قَرَأَ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ أُعْطِيَ مِنَ الْأَجْرِ كَأَنَّمَا قَرَأَ ثُلُثِي الْقُرْآنِ، وَأُعْطِيَ مِنَ الْأَجْرِ كَأَنَّمَا تَصَدَّقَ عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ)[٥] .

وسنقف في هذه الدّراسة عند آية من آياتها الكريمات الّتي كان لها تفسير وتأويل في بطون الكتب الحديثيّة، سنحاول أنْ ننقلَ ما تيسّر منها لنستكشفَ منها مستويي: التّفسير والتّأويل، أَلَا وهي آية « اهدنا الصّراط المستقيم ».

وقد يظنُّ المطّلع أنّ المصطلحين اللّذين نتداولهما كثيرًا تارةً أنّهما مترادفان، ونقصد بهما مصطلح التّفسير و مصطلح التّأويل؛ ولكنَّ الواقع أنّهما مختلفان في الدّلالة وإلّا لَمَا صاغ لهما أهلُ الاختصاص من صُنّاع المصطلحات والمعرفة بناءَينِ مختلفينِ .

فالمقصود بالتّفسير: بيان الوجه الظّاهريّ من التّراكيب والتّعابير، ويعمل على رفع الإبهام عن المعنى الّذي قد يتولّد بسبب تعقيد التّركيب والتّعبير اللّفظيّ.

وأمّا التّأويل فهو بيان الوجه الباطنيّ للتّراكيب والتّعابير، ويعمل على دفع الشّبهة عن المتشابه في آيات الكتاب المجيد؛ سواء أكان ذلك الأقوال أو الأفعال .

وقد ورد ذكر لفظ التّأويل في سبع سور من سور القرآن الكريم الأولى في سورة آل عمران؛ ففيها قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ أَيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾، والثّانية في سورة النّساء؛ ففيها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أَمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْأَخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾، والثّالثة في سورة الأعراف؛ إذ جاءت في قوله تعالى﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾، أمّا الرّابعة فكانت في سورة يونس في قوله تعالى ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾، وجاءت الخامسة في سورة يوسف من قوله تعالى ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾، أمّا السّادسة والسّابعة فكانت في سورة الإسراء والكهف[٦].

أوّلًا: المستوى التّفسيريّ:

وقد وردت عن أهل بيت النّبوة ﷺ، وبعض أصحابهم، روايات كشفت عن المستوى الظّاهريّ لهذه الآية الّذي يمكن أنْ يندرجَ تحت مفهوم التّفسير.

من ذلك ما ورد عن أمير المؤمنين ﷺ في تفسير ﴿إِهْدِنَا الصِّرَاطَ أَلْمُسْتَقِيمَ﴾: أيْ: ثبّتنا[٧].

وعنه ﷺ أيضًا: (فِي قَوْلِهِ اِهْدِنَا الصِّرٰاطَ أَلْمُسْتَقِيمَ قَالَ يَقُولُ أَدِمْ لَنَا تَوْفِيقَكَ أَلَّذِي بِهِ أَطَعْنَاكَ فِي مَاضِي أَيَّامِنَا حَتَّى نُطِيعَكَ كَذَلِكَ فِي مُسْتَقْبَلِ أَعْمَارِنَا وَ الصِّرَاطُ أَلْمُسْتَقِيمُ هُوَ صِرَاطَانِ صِرَاطٌ فِي أَلدُّنْيَا وَ صِرَاطٌ فِي أَلْآخِرَةِ فَأَمَّا الصِّرَاطُ أَلْمُسْتَقِيمُ فِي أَلدُّنْيَا فَهُوَ مَا قَصُرَ عَنِ أَلْغُلُوِّ وَ اِرْتَفَعَ عَنِ أَلتَّقْصِيرِ وَ اِسْتَقَامَ فَلَمْ يَعْدِلْ إِلَى شَيْءٍ مِنَ أَلْبَاطِلِ وَ أَمَّا أَلطَّرِيقُ أَلْآخَرُ فَهُوَ طَرِيقُ أَلْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَلْجَنَّةِ أَلَّذِي هُوَ مُسْتَقِيمٌ لاَ يَعْدِلُونَ عَنِ أَلْجَنَّةِ إِلَى النّارِ وَ لاَ إِلَى غَيْرِ النّارِ سِوَى أَلْجَنَّةِ) [٨].

وَعن الإمام جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الصّادِقِ ﷺ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَ جَلَّ: اِهْدِنَا الصِّرٰاطَ أَلْمُسْتَقِيمَ (قَالَ يَقُولُ أَرْشِدْنَا إِلَى الصِّرَاطِ أَلْمُسْتَقِيمِ أَرْشِدْنَا لِلُزُومِ أَلطَّرِيقِ أَلْمُؤَدِّي إِلَى مَحَبَّتِكَ وَ أَلْمُبَلِّغِ إِلَى دِينِكَ وَ أَلْمَانِعِ مِنْ أَنْ نَتَّبِعَ أَهْوَاءَنَا فَنَعْطَبَ أَوْ نَأْخُذَ بِآرَائِنَا فَنَهْلِكَ)[٩].

وورد عن الإمام الرّضا عليه السلام أنّه قال في تفسير (اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) استرشدنا لدينه، واعتصام بحبله، واستزادة في المعرفة لربّه عزّ وجلّ ولعظمته وكبريائه [١٠].

وأخرج القرطبيّ (ت ٦١٧ هـ) في تفسيره توجيًا مرويًّا لهذه الآية المباركة؛ جاء فيه: هو دين الله الّذي لا يُقبل من العباد غيره [١١].

وأخرج الطّبريّ (ت ٣١٠ هـ) في تفسيره توجيهًا آخرَ للآية مدار البحث عن الصّحابيّ ابن عبّاس ورد فيه: ألهمنا الطّريقَ الهاديَ، وهو دين الله الّذي لا عوج له[١٢].

ونقل البغويّ (ت ٥١٦ هـ) في تفسيره أيضًا عن الآية نفسها توجيهًا مقاربًا عن سعيد بن جبير رضي الله تعالى عنه؛ جاء فيه: الصّراط المستقيم هو طريق الجنّة[١٣].

وقد وردت عن طريق أهل بيت النّبوّة عليهم السلام أو أصحابهم رضوان الله تعالى عليهم أحاديثُ تدور في فَلَك ما مرّ من تفسيرات متقاربة؛ وهو على الأحوال كلّها تفسير وجيه؛ لأنّ (الصّراط المستقيم هي سبيل السّعادة في الحياة، إنْ ماديًّا أو معنويًّا، فيكون – تعالى – هو وليّه في طول المسير، فيخرجه من الظّلمات «غياهب الحياة ومضلّاتها» إلى النّور «الله وليُّ الّذين آمنوا يُخرجهم من الظّلمات إلى النّور» وهذا يعني تداوم عنايته بعباده المؤمنين، فلا يجابهون منعطفًا عن النّهج السّويّ في مسيرة الحياة؛ لأنّهم بشراشر وجودهم آمنون ومطمئنّون في كنف ولايته تعالى،

ومستريحون في ظلّ عنايته عبر الأبد . هذا ما يبتغيه كلّ مؤمن صادق في إيمانه، مصرًّا عليه آناء ليله ونهاره، من نبيّ كريم، ووليّ عظيم، ومؤمن خالص العبودية لله ربّ العالمين) [١٤].

وقد يجد بعضهم أنّ هناك عدم انسجام بتفسير طلب الهداية بقوله تعالى (اهدنا) على نحو إدامتها؛ فهو اعتقاد غير دقيق؛ لأنّ (العبد [ما دام] محتاجًا إلى الهداية في جميع أموره، آنًا فآنًا ولحظة فلحظة، فإدامة الهداية هي هداية أخرى بعد الهداية الأولى؛ فتفسير « طلب « الهداية بـ « طلب « إدامتها ليس خروجًا عن ظاهر اللّفظ) [١٥].

ثانياً: المستوى التّأويليّ:

وردت علينا من الأثر المبارك لأهل بيت النّبوّة عليهم السلام وأصحابهم رضوان الله تعالى عليهم مجموعة من الأحاديث والرّوايات الّتي تؤوّل هذه الآية المباركة؛ أي: اهدنا الصّراط المستقيم، على أنّها في ولاية المعصومين عليهم السلام: محمّدٍ وآله الطّاهرين صلوات الله عليهم .

من ذلك ما أخرجه الحاكم الحسكانيّ (كان حيًّا ٤٧٠ هـ) من حديث عن النّبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم؛ جاء فيه: مخاطبًا صلى الله عليه وآله وسلم الإمامَ عليًّا عليه السلام: أنت الطّريق الواضح، وأنت الصّراط المستقيم، وأنت يعسوب المؤمنين [١٦].

وفي الباب نفسه نقل القندوزيّ الحنفيّ(ت ١٢٩٤ هـ) حديثًا عن الإمام زين العابدين عليه السلام؛ جاء فيه [١٧]: نحن أبواب الله، ونحن الصّراط المستقيم، ونحن عَيبة علمه، ونحن تراجمة وحيه، ونحن أركان توحيده، ونحن موضع سرّه .

وروى الصّدوق (ت ٣٨١ هـ) عن الإمام الباقر عليه السلام حديثًا؛ جاء فيه: قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: مَن سرّه أنْ يجوزَ على الصّراط كالرّيح العاصف ويلِج الجنّة بغير حساب فليتولَّ وليّي ووصيّي وصاحبي وخليفتي على أهلي وأمّتي عليّ بن أبي طالب، ومن سَرَّه أنْ يلجَ النّار فليترك ولايته، فوَ عزّة ربّي وجلاله؛ إنّه لَبابُ الله الّذي لا يؤتى إلّا منه، وإنّه الصّراط المستقيم، وإنّه الّذي يسأل الله عن ولايته يوم القيامة [١٨].

وجاء في معاني الأخبار عن الإمام الصّادق عليه السلام حديثٌ ورد فيه: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الحمد عن تأويل الصّراط المستقيم: هم محمّد وذرّيّته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين [١٩].

وجاء في كتاب بصائر الدّرجات عن أبي جعفرٍ الباقرِ عليه السلام؛ قال: سمعته يقول:

(نحن جنب الله، ونحن صفوته، ونحن خيرته، ونحن مستودع مواريث الأنبياء، ونحن أُمَناء الله، ونحن حجّة الله، ونحن أركان الإيمان، ونحن دعائم الإسلام، ونحن رحمة الله على خلقه.

ونحن الّذين بنا يفتح الله وبنا يختم، ونحن أئمّة الهدى ومصابيح الدّجى، ونحن منار الهدى، ونحن السّابقون، ونحن الآخرون، ونحن العَلَم المرفوع للخلق من تمسّك بنا لحق، ومن تخلّف عنّا غرق.

ونحن قادة الغرّ المحجّلين، ونحن خيرة الله، ونحن الطّريق وصراط الله المستقيم إلى الله، ونحن من نعمة الله على خلقه، ونحن المنهاج، ونحن معدِن النّبوّة، ونحن موضع الرّسالة، ونحن الّذين إلينا مختلف الملائكة، ونحن السّراج لمن استضاء بنا، ونحن السّبيل لمن اقتدى بنا، ونحن الهداة إلى الجنّة.

ونحن عزّ الإسلام، ونحن الجسور والقناطر، مَن مضى عليها سبق، ومن تخلّف عنها مُحِق، ونحن السّنام الأعظم، ونحن الّذين بنا تنزل الرّحمة، وبنا تُسقَون الغيثَ، ونحن الّذين بنا يصرف عنكم العذاب؛ فمن عرفنا ونصرنا وعرف حقّنا وأخذ بأمرنا فهو منّا وإلينا)[٢٠].

ولعلّ من أعجب الأحاديث ما ورد عن الإمام الصّادق عليه السلام الّذي بُني على القسم منه عليه السلام، والمعصوم لا يُقسم إلّا في مورد الأمر المهمّ الّذي فيه الصّلاح المبرم للرّعية؛ إذ جاء فيه: واللهِ نحن السّبيل الّذي أمركم اللهُ باتّباعه، ونحن ــ واللهِ ــ الصّراط المستقيم، ونحن والله الّذين أمر اللهُ بطاعتهم [٢١].

ويعلّق الفيض الكاشانيّ (ت ١٠٩١ هـ) على جملة الأحاديث الّتي وردت في تفسير هذه الآية المباركة أو تأويلها (ومآل الكلّ واحد عند العارفين بأسرارهم

وبيانه –على قدر فهمك–: أنّ لكلّ إنسان من ابتداء حدوثه إلى منتهى عمره انتقالات جبلِّيَّة باطنيّة في الكمال، وحركات طبيعيّة ونفسانيّة تنشأ من تكرار الأعمال، وتنشأ منها المقامات والأحوال ومن مقام إلى مقام ومن كمال إلى كمال، حتّى يتّصل بالعالم العقليّ، والمقرّبين، ويلحق بالملأ الأعلى والسّابقين، إنْ ساعده التّوفيق، وكان من الكاملين، أو بأصحاب اليمين، إنْ كان من المتوسّطين، أو يُحشر مع الشّياطين وأصحاب الشّمال، إنْ ولّاه الشّيطان وقارنه الخذلان في المآل، وهذا معنى الصّراط المستقيم، منه ما إذا سلكه أوصله الجنّة، وهو ما يشتمل عليه الشّرع، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾،(الشورى،٥٢) صراط الله هو صراط التّوحيد والمعرفة والتّوسّط بين الأضداد في الأخلاق، والتزام صوالح الأعمال، وبالجملة صورة الهدى الّذي أنشأه المؤمن لنفسه ما دام في دار الدّنيا، مقتديًا فيه بهدى إمامه؛ وهو أدقّ من الشّعر وأحدّ من السّيف في المعنى، مظلم لا يهتدي إليه إلّا من جعل الله له نورًا يمشي به في النّاس)[٢٢].

لا تعارض _ إذًا_ بين هذا المستوى وما سبقه من توجيه للآية الكريمة؛ لأنّ محمّدًا وآله الطّاهرين صلوات الله عليهم (هم العصمة الموصولة بين الله وبين العباد، من تمسّك بحبل ولائهم نجا ومن فارقهم ضلّ وهوى؛ إنّهم القدوة وبهم الأسوة، وإنّهم السّبل إلى الله وكهف الورى وورثة الأنبياء والمثل الأعلى والدّعوة الحسنى وحجج الله على أهل الدّنيا والآخرة والأولى)[٢٣].

ولعلّ أجلى المصاديق على هذا التّعاشق الدّلاليّ والتّعامليّ ما ورد في الزّيارة الجامعة المباركة الّتي يُزار بها أهل بيت النّبوّة عليهم السلام بالعبارة الآتية:

وَأَشْهَدُ أَنَّكُمُ الْأَئِمَّةُ الرّاشِدُونَ الْـمَهْدِيُّونَ الْمَعْصُومُونَ الْمُكَرَّمُونَ الْمُقَرَّبُونَ الْمُتَّقُونَ الصّادِقُونَ الْمُصْطَفَوْنَ الْمُطيعُونَ لله، الْقَوّامُونَ بِأَمْرِهِ، الْعامِلُونَ بِإِرادَتِهِ، الْفائِزُونَ بِكَرامَتِهِ، اصْطَفاكُمْ بِعِلْمِهِ، وَارْتَضاكُمْ لِغَيْبِهِ، وَاخْتارَكُمْ لِسِرِّهِ، وَاجْتَباكُمْ بِقُدْرَتِهِ، وَأَعَزَّكُمْ بِهُداهُ، وَخَصَّكُمْ بِبُرْهانِهِ، وَانْتَجَبَكُمْ لِنُورِهِ، وَأَيَّدَكُمْ بِرُوحِهِ، وَرَضِيَكُمْ خُلَفاء فى أَرْضِهِ، وَحُجَجًا عَلى بَرِيَّتِهِ، وَأَنْصارًا لِدينِهِ، وَ حَفَظَةً لِسِرِّهِ، وَخَزَنَةً لِعِلْمِهِ، وَمُسْتَوْدَعًا لِحِكْمَتِهِ، وَتَراجِمَةً لِوَحْيِهِ، وَأَرْكانًا لِتَوْحيدِهِ، وَشُهَداءَ عَلى خَلْقِهِ، وَأَعْلامًا لِعِبادِهِ، وَمَنارًا فى بِلادِهِ، وَأَدِلَّاءَ عَلى صِراطِهِ، عَصَمَكُمُ اللهُ مِنَ الزَّلَلِ، وَآمَنَكُمْ مِنَ الْفِتَنِ، وَطَهَّرَكُمْ مِنَ الدَّنَسِ، وَأَذْهَبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ وَطَهَّرَكُمْ تَطْهيرًا، فَعَظَّمْتُمْ جَلالَهُ، وَأَكْبَرْتُمْ شَأْنَهُ، وَمَجَّدْتُمْ كَرَمَهُ، وَأَدَمْتُمْ ذِكْرَهُ، وَوَكَّدْتُمْ ميثاقَهُ، وَأَحْكَمْتُمْ عَقْدَ طاعَتِهِ، وَنَصَحْتُمْ لَهُ فِي السِّرِّ وَالْعَلانِيَةِ، وَدَعَوْتُمْ اِلى سَبيلِهِ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ، وَبَذَلْتُمْ أَنْفُسَكُمْ في مَرْضاتِهِ، وَصَبَرْتُمْ عَلى ما أَصابَكُمْ في جَنْبِهِ، وَأَقَمْتُمُ الصّلاةَ، وَآتَيْتُمُ الزَّكاةَ، وَأَمَرْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهَيْتُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَجاهَدْتُمْ فِى اللهِ حَقَّ جِهادِهِ حَتّى أَعْلَنْتُمْ دَعْوَتَهُ، وَبَيَّنْتُمْ فَرائِضَهُ، وَأَقَمْتُمْ حُدُودَهُ، وَنَشَرْتُمْ شَرايعَ أَحْكامِهِ، وَسَنَنْتُمْ سُنَّتَهُ، وَصِرْتُمْ فى ذلِكَ مِنْهُ اِلَى الرِّضا، وَسَلَّمْتُمْ لَهُ الْقَضاءَ، وَصَدَّقْتُمْ مِنْ رُسُلِهِ مَنْ مَضى؛ فَالرّاغِبُ عَنْكُمْ مارِقٌ، وَاللّازِمُ لَكُمْ لاحِقٌ، وَالْمُقَصِّرُ في حَقِّكُمْ زاهِقٌ، وَالْحَقُّ مَعَكُمْ وَفيكُمْ وَمِنْكُمْ وَاِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ أَهْلُهُ وَمَعْدِنُهُ،

وَميراثُ النّبُوَّةِ عِنْدَكُمْ، وَاِيابُ الْخَلْقِ اِلَيْكُمْ، وَحِسابُهُمْ عَلَيْكُمْ، وَفَصْلُ الْخِطابِ عِنْدَكُمْ، وَآياتُ اللهِ لَدَيْكُمْ، وَعَزائِمُهُ فيكُمْ، وَنُورُهُ وَبُرْهانُهُ عِنْدَكُمْ، وَأَمْرُهُ اِلَيْكُمْ، مَنْ والاكُمْ فَقَدْ والَى اللهَ، وَمَنْ عاداكُمْ فَقَدْ عادَ اللهَ، وَ مَنْ أَحَبَّكُمْ فَقَدْ أَحَبَّ اللهَ، وَمَنْ أَبْغَضَكُمْ فَقَدْ أَبْغَضَ اللهَ، وَمَنِ اعْتَصَمَ بِكُمْ فَقَدِ اعْتَصَمَ بِاللهِ، أَنْتُمُ الصّراطُ الأَقْوَمُ، وَشُهَداءُ دارِ الْفَناءِ، وَشُفَعاءُ دارِ الْبَقاءِ، وَالرّحْمَةُ الْمَوْصُولَةُ، وَالآيَةُ الْمَخْزُونَةُ، وَالأَمانَةُ الْمَحْفُوظَةُ، وَالْبابُ الْمُبْتَلى بِهِ النّاسُ، مَنْ أَتاكُمْ نَجا، وَمَنْ لَمْ يَأْتِكُمْ هَلَكَ، اِلَى اللهِ تَدْعُونَ، وَعَلَيْهِ تَدُلُّونَ، وَبِهِ تُؤْمِنُونَ، وَلَهُ تُسَلِّمُونَ، وَبِأَمْرِهِ تَعْمَلُونَ، وَاِلى سَبيلِهِ تُرْشِدُونَ، وَبِقَوْلِهِ تَحْكُمُونَ، سَعَدَ مَنْ والاكُمْ، وَهَلَكَ مَنْ عاداكُمْ، وَخابَ مَنْ جَحَدَكُمْ، وَضَلَّ مَنْ فارَقَكُمْ، وَفازَ مَنْ تَمَسَّكَ بِكُمْ، وَأَمِنَ مَنْ لَجَأَ اِلَيْكُمْ، وَسَلِمَ مَنْ صَدَّقَكُمْ، وَهُدِيَ مَنِ اعْتَصَمَ بِكُمْ، مَنِ اتَّبَعَكُمْ فَالْجَنَّةُ مَأْواهُ، وَمَنْ خالَفَكُمْ فَالنّارُ مَثْواهُ، وَمَنْ جَحَدَكُمْ كافِرٌ، وَمَنْ حارَبَكُمْ مُشْرِكٌ، وَمَنْ رَدَّ عَلَيْكُمْ فى أَسْفَلِ دَرْكٍ مِنَ الْجَحيمِ، ...[٢٤].

الخاتمة:

بعد هذه الجولة المباركة في كتب الأحاديث والتّفسير والتّأريخ لتدبّر الآية المباركة من سورة الحمد؛ تبيّن الآتي:

١- أنّ التّأويل الّذي يمثّل التّفسير الباطن يعدّ مكمّلًا للتّفسير الظّاهر لدلالات الآيات المباركات، ولا تعارض بينهما إلّا إذا خالف التّأويل ثوابت الشّريعة وخرج عن الأطر المعلومة عقائديًّا .

٢- إنّ التّفسير والتّأويل الذي خلص إليه البحث كان عن طريقي الفرقتين الرّئيستين في الإسلام، وقد أيّد ما ورد عن أعلامهما في الحديث أو التّفسير التّوجّه النّهائيّ الوارد عن أهل بيت النّبوّة صلوات الله تعالى عنهم أجمعين .

الهوامش:

١- مناقب آل أبي طالب : أبو جعفر محمّد بن عليّ بن شهراشوب السّروي: ٣٢٢ ، مطبعة الحيدريّة ، النّجف الأشرف ، ط ١ ، ١٩٥٦م .

٢- تفسير العياشيّ : ١ / ٣٦ ، مؤسّسة الأعلميّ ، بيروت ، ط١ ، ١٤١١ هـ .

٣- بحار الأنوار (بحار الأئمّة الجامعة لدُرر أخبار الأئمّة عليهم السّلام) : العلامة المجلسيّ : ٨٩ / ٢٣٠ ، مؤسّسة الوفاء ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٣ هـ .

٤- المصدر السّابق : ٨٩ / ٢٣٥

٥- ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن : الطّبرسيّ :بداية سورة الحمد ، تحقيق وتعليق : لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين ، ط ١ ، ١٩٩٥ م.

٦- ينظر : التّفسير والمفسِّرون في ثوبه القشيب : محمّد هادي معرفة : ١ / ٢١ وما بعدها : دار التّراث الإسلاميّ ، ط١ ، وعلوم القرآن : السّيّد محمّد باقر الحكيم : ٢٦٣ وما بعدها ، المكتبة الشّيعيّة ، ط٣ ، ١٤١٧ م .

٧- أبو الفتوح : ١ / ٨٤

٨- بحار الأنوار : ٢٤ / ٩.

٩- بحار الأنوار : ج ٢٤ / ص ٩

١٠- من لا يحضره الفقيه: الشّيخ الصّدوق: ١ / ٣١٠ و ٩٢٦، دار الكتب الإسلاميّة، ط ٣، ١٣٨٨ هـ.

١١- تفسير القرطبيّ : ١ / ١٤٧ ، مؤسّسة التّأريخ العربيّ ، بيروت ، ١٤٠٥ هـ .

١٢- تفسير الطّبريّ : ابن جرير الطبريّ : ١ / ١١١ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٥ هـ .

١٣- تفسير البغويّ : ١ / ٧٦ ، دار إحياء التّراث العربيّ ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٠ هـ .

١٤- التّفسير الأثريّ الجامع : محمّد هادي معرفة : ١ / ٣٨٢ ، منشورات ذوي القربي ، قم المقدّسة ، ط١ ، ٢٠٠٨ م .

١٥- تفسير الصّافي : الفيض الكاشاني : ١ / ١٢٦ .

١٦- شواهد التّنزيل : الحاكم الحسكانيّ : ١ / ٥٧ ، إحياء الثّقافة الإسلاميّة ، طهران ، ط١ ، ١٤١١ هـ .

١٧- ينابيع المودّة : القندوزيّ الحنفيّ : ٣ / ٣٥٩ ، دار الكتب العراقيّة ، الكاظميّة المقدّسة ، ط١ ، ١٩٦٦ م.

١٨- أمالي الصّدوق : ابن بابويه القمّيّ : ١٧٣ ، مؤسّسة البعثة ، ط١ ، ١٤١٧ هـ .

١٩- معاني الأخبار : الشّيخ الصّدوق : ٣٦ / ٧ ، مكتبة الإمام صاحب الزّمان عجل الله فرجه العامّة ، الكاظميّة ، العراق ـ د.ت .

٢٠- بصائر الدّرجات الكبرى في فضائل آل محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم : الصّفّار : ١٩ ، مؤسّسة الأعلميّ ، طهران ، ١٤٠٤ ق هـ .

٢١- تفسير نور الثّقلين: الحويزيّ : ٣/ ٤١١ ، بيروت ، ط١ .

٢٢- تفسير الصّافي : ١ / ١٢٧ .

٢٣- التفسير الأثري الجامع : ١ / ٣٨٦ .

٢٤- من لا يحضره الفقيه - الشّيخ الصّدوق : ٢ / ٦١٣

المصادر والمراجع:

١- القرآن الكريم .

٢- ابن بابويه القمّيّ، أمالي الصّدوق: مؤسّسة البعثة، ط١، ١٤١٧ هـ .

٣- العلّامة المجلسيّ، بحار الأنوار (بحار الأئمّة الجامعة لدُرر أخبار الأئمّة عليهم السلام): مؤسّسة الوفاء، بيروت، ط ٢، ١٤٠٣ هـ .

٤- الصّفّار، بصائر الدّرجات الكبرى في فضائل آل محمّد صلى الله عليه وآله: مؤسّسة الأعلميّ، طهران، ١٤٠٤ ق هـ .

٥- محمّد هادي معرفة: التّفسير الأثريّ الجامع: منشورات ذوي القربي، قم المقدّسة، ط١، ٢٠٠٨ م.

٦- البغويّ الشّافعيّ، تفسير البغويّ (معالم التّنزيل): دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت، ط١، ١٤٢٠ هـ .

٧- الفيض الكاشاني: تفسير الصّافي: دار الكتب الإسلاميّة، ط١، ١٤١٩هـ.

٨- ابن جرير الطبري، تفسير الطّبريّ (جامع البيان عن تأويل آي القرآن): دار الفكر، بيروت، ١٤١٥ هـ .

٩- ابن عياش، تفسير العيّاشيّ: مؤسّسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٤١١ هـ .

١٠- محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تفسير القرطبيّ (الجامع لأحكام القرآن)، مؤسّسة التّأريخ العربيّ، بيروت، ١٤٠٥ هـ .

١١- الحويزويّ، تفسير نور الثّقلين: بيروت، ط١ .

١٢- محمّد هادي معرفة: التّفسير والمفسِّرون في ثوبه القشيب: دار التّراث الإسلاميّ، ط١ .

١٣- الحاكم الحسكانيّ: شواهد التّنزيل لقواعد التّفضيل في آياته النّازلة في أهل البيت عليهم السلام: إحياء الثّقافة الإسلاميّة، طهران، ط١، ١٤١١ هـ .

١٤- السّيّد محمّد باقر الحكيم، علوم القرآن: المكتبة الشّيعيّة، ط٣، ١٤١٧ م.

١٥- الفضل بن الحسن الطّبرسيّ، مجمع البيان في تفسير القرآن: تحقيق وتعليق: لجنة من العلماء والمحقّقين الأخصائيّين، ط ١، ١٩٩٥ م.

١٦- الشّيخ الصّدوق، معاني الأخبار: مكتبة الإمام صاحب الزّمان عجل الله فرجه الشريف العامّة، الكاظميّة، العراق ـ د.ت .

١٧- أبو جعفر محمّد بن عليّ بن شهراشوب السّروي: مناقب آل أبي طالب: ٣٢٢، مطبعة الحيدريّة، النّجف الأشرف، ط ١، ١٩٥٦م .

١٨- الشّيخ الصّدوق، من لا يحضره الفقيه: دار الكتب الإسلاميّة، ط٣، ١٣٨٨هـ.

١٩- ينابيع المودّة لذوي القربى: القندوزي الحنفيّ، دار الكتب العراقيّة، الكاظميّة المقدّسة، ط١، ١٩٦٦ م.